

المداخل المنهاجية من منظور حضاري مُقارن

المجلد الأول

علم المنهاجية - المنظور الحضاري - مدخل بناء المفاهيم



تحرير

أ.د. نادية مصطفى د. مدحت ماهر



المداخل المنهاجية
من منظور حضاري مقارنة
المجلد الأول

فهرسة أثناء النشر

نادية محمود مصطفى (تحرير)

المدخل المنهاجية من منظور حضاري مقارنة / مجموعة من المؤلفين؛ تحرير نادية محمود مصطفى، مدحت ماهر الليثي. - ط. ١. القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٠٢٦. - ج. ٧ في ٣ مج.

يشتمل على: ج. ١؛ علم المنهاجية من منظور حضاري.. مدخل تأسيسي

يشتمل على: ج. ٢؛ المنظور الحضاري.. من التأصيل إلى التفعيل

يشتمل على: ج. ٣؛ مدخل بناء المفاهيم.. كيف نبني مفهومًا علميًا من منظور حضاري؟

يشتمل على: ج. ٤؛ المدخل التاريخي.. توظيف التاريخ في البحوث السياسية

يشتمل على: ج. ٥؛ المدخل السُنِّي.. من التنظير إلى الاجتهاد

يشتمل على: ج. ٦؛ المدخل القيمي.. طرح حضاري وتطبيق إجرائي

يشتمل على: ج. ٧؛ المدخل المقاصدي.. منهج للتحليل والتفسير والتقويم

١. المنهجية. ٢. طرق البحث. ٣. العلوم الاجتماعية. ٤. السياسة.

٥. السنن. ٦. المنهج التاريخي. ٧. القيم. ٨. بناء المفاهيم.

٩. المنظور التاريخي. ١٠. مقاصد الشريعة.

أ. نادية محمود مصطفى ب. مدحت ماهر ج. ريهام خفاجي

د. شريف عبد الرحمن هـ. أميرة أبو سمرة و. العنوان.

٢٠١٤، ٤٣ ن. أ. م.

رقم الإيداع: ٤٧٨٢ / ٢٠٢٦

الترقيم الدولي: 978-633-8382-40-7 ISBN



المداخل المنهاجية

من منظور حضاري مقارنة

تحرير

أ.د. نادية محمود مصطفى

د. مدحت ماهر الليثي

المجلد الأول

١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٦ م



حقوق التأليف والنشر والطباعة محفوظة
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس
بأي صورة إلا بإذن كتابي من الناشر

مركز الحضارة للدراسات والبحوث
١٠ ش د. حندوسة - جاردن سيتي
القاهرة - جمهورية مصر العربية

www.hadaracenter.com
info@hadaracenter.com

١٤٤٧ هـ

٢٠٢٦ م

إشراف وتحرير

أ.د. نادية محمود مصطفى

د. مدحت ماهر الليثي

منسقا المشروع

سمية عبد المحسن

أحمد عبد الرحمن خليفة

الفريق البحثي

أ.د. أميرة أبوسمرة

د. ريهام خفاجي

د. شريف عبد الرحمن

د. مدحت ماهر الليثي

أ.د. نادية محمود مصطفى

شارك في التحكيم والقراءة

أ.د. أحمد علي سالم

أحمد شوقي

أحمد نبيل

أحمد البوهي

د. سماح عبد الصبور

تصميم داخلي وتنسيق فني

أحمد عبد الرحمن خليفة

أحمد محمد خلف

الفهرس

٧	تقديم أ. د. نادية محمود مصطفى.....
١١	مقدمة مشروع المداخل المنهاجية في المنظور الحضاري (الأجراً).....
	د. مدحت ماهر الليثي
٣١	(١) علم المنهاجية من منظور حضاري: مدخل تأسيسي.....
	د. شريف عبد الرحمن سيف النصر
٣٥	مقدمة.....
٣٩	المحور الأول: إدراك الواقع من منظورات مقارنة.....
٤٧	المحور الثاني: رؤية العالم.....
٥٣	المحور الثالث: المنظور.....
٥٩	المحور الرابع: النظرية.....
٦٩	المحور الخامس: القانون.....
٧٣	المحور السادس: النموذج.....
٧٧	المحور السابع: المنهج.....
٨٣	المحور الثامن: المفاهيم.....
٨٩	خاتمة.....

(٢) المنظور الحضاري: من التأصيل إلى التفعيل ٩٣

أ. د. نادية محمود مصطفى - د. مدحت ماهر الليثي

تمهيد: المنظور الحضاري.. من الفكرة إلى النشأة والتطور..... ٩٧

المحور الأول: تميّز المنظور الحضاري عبر ملامح نموذج المعرفي..... ١٠٧

المحور الثاني: المنظور الحضاري.. المقولات والخصائص..... ١١٧

المحور الثالث: المنظور الحضاري.. شبكة المفاهيم والقيم..... ١٢٧

المحور الرابع: تطبيقات ونماذج..... ١٤٣

خاتمة..... ١٥٧

(٣) مدخل بناء المفاهيم ١٦١

د. ريهام خفاجي

تمهيد: تعريف المفهوم ومسيرة بنائه من منظور حضاري..... ١٦٥

المحور الأول: الإطار النظري لمدخل بناء المفاهيم..... ١٧١

المحور الثاني: ركائز تطبيق مدخل "بناء المفاهيم"..... ١٨٩

المحور الثالث: خطوات وإجراءات توظيف مدخل "بناء المفاهيم"..... ٢٠٣

المحور الرابع: النموذج التطبيقي لمدخل "بناء المفاهيم"..... ٢١٧

تقديم

تقف مدرسة المنظور الحضاري اليوم على منعطف جديد ضمن مسيرة طويلة؛ وهو منعطف الإنتاج المنهجي وتفعيل المداخل المنهجية. فبعد عملية التأسيس للمنظور الحضاري للعلاقات الدولية (١٩٨٦-١٩٩٦)، استمرّت عملية بناء هذا المنظور في العلوم السياسية بصفة عامة، وحتى الآن. وهي عملية متعدّدة المستويات. فهي -أولاً- عملية تأصيلية نظرياً وفكرياً؛ أي مستمدّة من "أصولنا"، ومستدعية لمصادر تراثنا الفكرية والتاريخية؛ كل ذلك لوضع أساس البناء وقاعدته ورفع جدرانه. لكن هذا البناء المعرفي ليس مغلقاً؛ فهو مفتوح لأنه عمل حيّ ينمو ويتوقّف، وقد يتراجع، ولكنه عمل مستمر، تراكمي، منفتح ومتغير، له ميزان يضبطه، وثوابت ترشّده وتوجّه وتشكّل كلّ اجتهاد معاصر ليكون صحيحاً في ذاته، وصالحاً ومصلحاً في واقعه.

ومن ناحية أخرى، ففي عملية البناء الحيّة هذه لا ينفصل المستوى النظري الفكري -بثوابته ومتغيّراته- عن عمليات تشغيله وتفعيله في البحوث التي تدّرّس قضايا الأوطان والأمة والعالم: شعوباً ونظماً ومؤسّسات وحركات؛ وقوى مادية وأخرى معنوية.

ومن ناحية ثالثة، ظلّت "قضية المنهج": مداخل وأدوات، في المنظور الحضاري الإسلامي مقارنة بنظيرتها في المنظورات الغربية الوضعية، تحتلّ اهتمامه. فإذا كانت رؤية العالم والنماذج المعرفية المتقابلة -وفق أساتذتنا منى أبو الفضل- قد تمّ استيفاؤها على أكثر من مستوى، وعلى يد أساتذة ملهمين أمثال: عبد الوهاب المسيري، وأحمد داود أوغلو، وفتحي الملكاوي... وغيرهم، وإذا كانت الأبعاد التأصيلية من الأصول الشرعية ومن الجذور الفكرية والفلسفية، وكذلك الأبعاد الأنطولوجية المضمونية للمنظور قد تمّ الاشتباك معها والإنتاج المنظّم حولها؛ سواء في مجال العلاقات الدولية أو النظم المقارنة أو النظرية السياسية، أو العلوم الاجتماعية بصورة أوسع... فلقد ظلّت الأبعاد المنهجية محوطةً بضبابية تحتاج للكشف عنها؛ وهي المستبطنة في كلّ أعمال المدرسة وإنتاجها: قيماً ومقاصد وسُنناً، وتاريخاً ومفاهيم.

هذه المداخل المنهجية جميعها من إنتاج الأمة وتراثها الحضاري الذي عرف المناهج

المنضبطة على أكثر من مستوى، وإن لم تتسم بالتسميات الذائعة عن "مناهج العلوم الغربية". فالمناهج الغربية هي وحدها التي توصف بالعلمية، ويتباهى بها العلمانيون الوضعيون ويجعلونها هي أساس العلم، والعلم -في منظورهم- هو المنهج "الوضعي السلوكي"، ويقصرون عليه وصف "العلمي" بالمعنى الضيق. وهذا المنهج الوضعي هو في الحقيقة علم لكنه ليس كل العلم وليس هو العالمي الذي ينبغي أن يتبنّاه العالم كله.

لقد أنتج تراثنا الحضاري مداخل منهجية اقترينا من مداخلها، مقارنة بالغربية، على خطوات تراكمية ابتداء من أعمال أستاذنا د. منى أبو الفضل ود. حامد ربيع (رحمهما الله)، ثم من خلال أعمالنا البحثية والتدريسية -نحن الجيل الثاني- طيلة خمسة عقود تقريباً حتى الآن، وجاءت إضافة تراكمية أخرى من الجيل الثالث لتُمسك بتلابيب "المداخل المنهجية".

ومن ناحية أخرى، قطع مركز الحضارة للدراسات والبحوث -منذ تأسيسه ١٩٩٧ وعبر زهاء ثلاثة عقود من عمره حتى الآن- أشواطاً متتالية، تنوّعت -عبر كلّ منها- الجهود البحثية والتدريبية والتواصلية، وجرى الانتقال من شوطٍ إلى آخر، بعد عملية تقييم دورية لمخطّطات المركز الخمسيّة (كل خمس سنوات).

في هذا الإطار، قفزت مسألة "المداخل المنهجية" بقوة خلال الخطة الخمسية الخامسة (٢٠١٧-٢٠٢٢)، بمبادرة من د. مدحت ماهر (وهو من أبرز عقول الجيل الثالث في مدرستنا الحضارية ويجمع بين العلم الشرعي والعلوم السياسية برحابة ومرونة)، وتفاعل معها د. شريف عبد الرحمن (أستاذ العلوم السياسية المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية)، وكلاهما من الجيل الثالث في مدرستنا الحضارية، لتدشين مشروع بحثي من أجل تحويل المقولات النظرية المنهجية للمدرسة إلى إجراءات وخطوات عملية، وهي غاية هذا المشروع.

ثم استمرّ التفاعل ثم الانقطاع فالعودة للتفكير في المشروع من جديد، حتى كانت "الخطة الخمسية السادسة للمركز (٢٠٢٢-٢٠٢٧)" هي ساحة التنفيذ، وكان ذلك في شكل مشروع بحثي جماعي تفاعلي أفصحت عن تفاصيله المقدمة الوافية الشافية

للكتاب التي أعدّها د. مدحت ماهر، عن خبرة إعداد وتنفيذ هذا المشروع منذ أن كان فكرة تراوح عقله وحتى أضحي كتابًا جامعيًا من سبعة أجزاء، قام د. مدحت ماهر على تحريره، الجزئي والنهائي، بعد أن قام على متابعة إعداد البحوث وتحكيمها من قبل هيئة المراجعة والتحرير والتحكيم بالمركز عبر مستويات متعدّدة.

ما يهمني أن أختتم به أن أقول إن خبرة إعداد هذا المشروع هي مرآة لخصائص منظورنا الحضاري؛ فهي خبرة جماعية تفاعلية تراكمية، نقدية بنائية، شاركت فيها عدّة أجيال؛ ومن ثم فهي خبرة تداولية تدافعية أيضًا، تحمل في طيّاتها كلّ أشكال التضافر والتعاون ضمن اجتهاد علمي حضاري يمثّل خطوةً أخرى بعد خطوات سابقة على مسار بناء وتشغيل وتفعيل منظور حضاري إسلامي مقارن في العلوم الاجتماعية وخاصة العلوم السياسية.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الأساتذة أصحاب أوراق هذا المشروع، الذين قدحوا قرائحهم بحماس وجد، وقَدّموا ثمرات بحثهم وفكرهم في دراسات هذا المشروع بسعة وعمق، وتجاوبوا بصورة مثالية مع النقاشات والملاحظات التحكيمية، وقرأوا لبعضهم البعض بمنتهى التدقيق والتعاطف العلمي، وكانوا يمثّلون فريقًا متكاملًا متناعًا.

وكذلك أشكر الأساتذة الكرام والباحثين الشباب الذين تفضّلوا بمناقشة أوراق المشروع في صورتها الأولية، وقَدّموا الكثير من الملاحظات ووجهات النظر التي أفادت وأسهمت في تطوير الأفكار والصياغات وتأتي المقدّمة التالية على أسمائهم الكريمة.

وكذلك أشكر كل فريق العمل في مركز الحضارة الذي أدار مسيرة المشروع بقيادة د. مدحت ماهر مدير المركز، وأخص بالشكر أحمد عبد الرحمن خليفة منسّق المشروع والمساعد في المراجعة ومعدّد القوالب الشارحة والموجزة في الأوراق، وأحمد محمد خلف الذي قام على التنسيق والإخراج النهائي للطباعة والنشر.

وأدعو الله أن يوفّق فريق إعداد المشروع وتنفيذه على استكمال الحلقة التالية من هذا المشروع؛ وهي إعداد "الدليل التدريبي للمداخل المنهجية بمنظور حضاري" للطلاب

والباحثين المهتمين بهذا المنظور وتطبيقه؛ كي يمكنهم من التدريب العملي التطبيقي على
توظيف هذه المداخل في بحوثهم.

والحمد لله،،

نادية محمود مصطفى

القاهرة في ٢٣/١٢/٢٠٢٥

رئيس مركز الحضارة للدراسات والبحوث

وأستاذ العلوم السياسية المتفرغ

بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

جامعة القاهرة

مقدمة

مشروع المداخل المنهجية في المنظور الحضاري (الأجراًة)^(١)

د. مدحت ماهر الليثي

تحكي هذه المقدمة باختصار شديد قضية قديمة متجدّدة، تتعلّق بإنتاج العلم وبناء منهجه، وخاصة في العصر الحديث، من منظور الباحثين المسلمين، المتحرّكين بين أصولهم وخصائص حضارتهم، وبين واقع أن أكثر الإنتاج العلمي -ومنه المنهجي- يخرج اليوم من مصانع الغرب المعرفية. وتحكي هذ المقدمة قصتين رئيسيتين: قصة الموضوع (المنهج في المنظور الحضاري الإسلامي)، ثم قصة المشروع (أي المشروع البحثي الذي يمثله هذا الكتاب لمحاولة إخراج مداخل منهجية من هذا المنظور)، قبل أن تشرح مفهوم "الأجراًة" الذي هو جوهر وغاية هذا المشروع البحثي، وكيف تمّ تفعيله.

(١)

قصة الموضوع: المنهج في المنظور الحضاري الإسلامي

عرف النشاط الإنساني لا سيما العلمي -منذ بواكيره- فكرة الخطوات والإجراءات التي تشكل بمجموعها منهج النظر والبحث وتناول القضايا. وقد عرفت العلوم الإسلامية في مستوياتها المنهجية- هذه الخاصية، وبدأت فيها واضحة ساطعة الرباعية: إطار نظري، مصادر معرفة، أدوات معرفة، خطوات وإجراءات بحثية. وكذلك عرفت العلوم الطبيعية والاجتماعية هذه العمليات الإجرائية. فالتفكير المنظم (المرتبّ في خطوات وإجراءات متتالية) يمكن اعتباره خاصية عقلية بشرية فطرية.

وقد يكون من المهم أن نتذكّر أن المنهج العلمي ظهر للوجود الإنساني مع خلق الإنسان الأول؛ فقد علم الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء؛ ومنها القدرة على التسمية؛ وأن تبرير التسمية لا يكون إلا بعلم، وأن الاستنباط والاستنتاج، والوصل بين مقدمة ونتيجة، لا يكون إلا بمنهج. وبهذا المعنى البسيط للعلم وللمنهج، فإن للبشر جميعاً

(١) أسهم الباحث أحمد عبد الرحمن خليفة في إعداد جزء مهم من هذه المقدمة، فله شكر خاص.

نصيبًا مشتركًا في المنهج العلمي، ثم هم يتفاضلون بحسب سعيهم وما يُيسِّرُ لهم من أسباب زيادة العلم وتدقيقه.

وبين تلك اللحظة الأولى لغرس العلم ومنهجه العام، واللحظة التاريخية الحاضرة، جَرَتْ في نهر العلم الإنساني ومنهجه مياه كثيرة متعدّدة الألوان والطعوم والمكوّنات. واليوم أضحت قضية العلم والمنهج العلمي قضية حضارة؛ تفخر بها حضارة الغرب وتنسبها إلى نفسها إنشاءً وبناءً، وترنّو إليها أعين الحضارات الأخرى وتسعى للحضور فيها، وبالمعنى الغربي ذاته. وخلال القرون القريبة سَكَّ الغربيون مفهومًا للعلم ومنهجه عدّوه هو المفهوم الأوحّد والأفضّل، وزعموا اختراعهم له عبر قرونه الأخيرة، متمسّكين بأنّه من بنات أفكارهم وثمرات قيمهم (العقلانية الواقعية المادية العلمانية الموضوعية)؛ التي لخصّتها الفلسفة الوضعية في فرنسا منتصف القرن التاسع عشر، وشاعت من وقتها في الغرب، ولا تزال مهيمنة على فلسفة العلم في الغرب، وفي البقاع من العالم التي حَدَّتْ حَدُّو الغرب في المعرفة والبحث العلمي.

على الجانب الآخر، وفي الأمة الإسلامية التي ننتمي نحن مؤلفي هذا الكتاب إليها، لم تتوقّف عجلة إنتاج المعرفة الجديدة منذ نشأة هذه الأمة على كلمة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، منذ ما يزيد عن ١٤٠٠ سنة شمسية (ونحو ١٤٥٠ قمرية). وعبر الزمن تطوّر المنهج العلمي الفطري في هذه الأمة لكي يغطّي جانبي الاستنباط من النصوص الإلهية والإنسانية، والاستقراء من المواد الطبيعية والحيوية ومن الواقع الإنساني والاجتماعي. وإن نظرة عَجَلَى ما بين القرآن الكريم والسُنَّة النبوية وما فيهما من معاني للعلم ومنهج للمعرفة، ثم ما مضى عليه المسلمون في فهم دينهم، وفي إدارة دنياهم السياسية والاجتماعية والنفسية والأدبية وأنشطتهم الاقتصادية، لتنبئ عن أصول لشجرة معرفة تميّزت بها هذه الحضارة.

إن وقفةً أمام لحظات فارقة من تاريخ المسلمين العلمي -مثل كتابة الشافعي لرسالته الكاشفة عن أصول الفقه الشرعي (قبل عام ٢٠٠ هـ / نحو ٨١٥م)، وصولاً إلى كتابة ابن خلدون لمقدمته الكاشفة لأصول فقه التاريخ والواقع بمجالاته المختلفة (نحو

عام ٨٠٠ هـ / نحو عام ١٤٠٠ م) - لتُفصح عن أن العلم ومنهجه ليسا جُكرًا على العصر الحديث ولا على جهد الغربيين^(١).

ورغم توالي التراجعات وثقل الكوارث الحضارية الكبرى التي تعرّضت لها الأمة الإسلامية، فإن إنتاج المعرفة الجديدة والأصيلة كان واحدًا من أهم ثغور المقاومة في الداخل والخارج، ومن أهم أبواب تجديد عافيتها واستئناف مسيرتها. وفي كل عصر وحتى اليوم، ظهر في هذه الأمة دعاة لإنهاض العلم فيها؛ وباحثون اجتهدوا وأنفقوا أعمارهم في تلك الصناعة الثقيلة المسماة: "إنتاج معرفة جديدة"، وعملوا على نقلها إلى الأجيال التالية، وإلى عموم أمّتهم؛ أملًا في مستقبل أفضل. ودائمًا كان مستوى المنهج محكًا فارقًا في تقدّم خط إنتاج المعرفة أو تأخّره.

في العصر الحديث تعقّد التحديّ المعرفي في الأمة الإسلامية بسبب غزو الغرب لبلدانها، واختراق ثقافته لثقافتها، وفرضه تطوُّره المعرفي على خصوصيّاتها الثقافية تحت نير احتلالٍ عسكريٍّ وقهرٍ سياسيٍّ؛ فظهرت الأمة مخيَّرة بين الوصم بالتخلف أو الاستسلام للتبعية المعرفية؛ وقد اختار بعض أبنائها التبعية والتغرُّب عن أصولهم والاكتفاء بالاستيراد والاستهلاك المعرفي، بينما سعى غيرهم إلى الإفلات من هذه المعادلة سلبية الطرفين؛ ورفضوا كلًّا من الجمود والتبعية، ليتبنّوا التجديد مع الاحتفاظ بالأصالة، دون تفريط في الأصول أو في منافع حديثة لا تخالف تلك الأصول. وقطعت الأمة الإسلامية شوطًا طويلاً في صراع بين مبادئ عامة وخيارات عريضة متضاربة، بينما كان الموقف العملي التجديدي يقاوم وينمو داخل قاعات البحث والتعلّم والتدريس؛ عبر طرح أسئلة ثقيلة لكن عملية واستراتيجية؛ كان من أهمها سؤال "المنهج العلمي"؛ وهل من خصوصية إسلامية فيه؟ وهل من إنجاز فيه من الأرضية الإسلامية؟ واستغرق الجواب العملي على هذا السؤال عقودًا طويلة.

(١) للمزيد بشأن تطور العلوم والمعارف بنظرة مقارنة بين حضارتي الإسلام والغرب، انظر:

- مدحت ماهر، حوار المعارف والثقافات وبناء العلوم الاجتماعية: من الخبرة الحضارية إلى تجاوز الأزمة المعاصرة، جامعة قطر: مطابع الدوحة الحديثة، (٢٠٢٤).

كدحت جماعة العلوم السياسية
في بناء منظور حضاري
مستوعب لأحدث ما أنتجته
المعرفية الغربية؛ ومستلهم
للأصول المعرفية الإسلامية
وكلياتها؛ لكي يفرز هذا المنظور:
مقولات وافتراضات، واتجاهًا
بحثيا ذا خصائص قيمية واقعية.

في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المعاصرة، قطعت مسيرة الإنتاج المعرفي
والعلمي خطوات طويلة الأنفاس؛ وقدمت
دراسات كثيرة لتسهم في تجديد وتشديد
بنيان العلم في العالم الإسلامي؛ على
مستويات: رؤى العالم - فلسفات علم
مقارنة - نظريات للمعرفة متنافسة. كان
ذلك في المستوى الأساس العريض، لكن

فوق ذلك عمل متمدن في حقول معرفية كثيرة: التربية - الاقتصاد - الإدارة - اللغويات -
الآداب - السياسة - القانون - الاتصال والإعلام - الاجتماع - علم النفس - التاريخ...
إلخ^(١).

كانت الجعبة الإسلامية غير ملأى بالسهم الكثيرة؛ فالمعرفة بالأصول والتراث
وتحرير مفاهيمها ومقولاتها لم يكن ذلك متوقِّراً عن قرب أو سهل المنال عند قطاع
عريض من الباحثين الجُدد، وكذلك استيعاب المنجز المعرفي الغربي لم يكن متوقِّراً
لأكثر أصحاب الخلفية الثقافية الإسلامية، لكن الباحثين المسلمين ظلُّوا -بمجموعهم
وتواصلهم- مُصْهِرين على استدعاء أصولهم المعرفية (القرآن والسُّنة)، وتراثهم الفكري
والفقهية والمعرفي، ومقارنته بالمعرفية الغربية المعاصرة للخروج بنظريات ومقولات ورؤى
جديدة تجمع بين الأصل والعصر. وقطعوا في ذلك أشواطاً من بدايات القرن الرابع
عشر الهجري (نهاية التاسع عشر الميلادي)، حتى بدايات القرن الخامس عشر الهجري
(نهايات القرن العشرين الميلادي)؛ وأنجزوا على مستويي استيعاب تراثهم والمنجز

(١) للمزيد بشأن هذه الجهود راجع إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومشروعاته الرائدة في تحقيق "إسلامية
المعرفة"، وما نتج عنها من موسوعات في علم الاقتصاد (موسوعة الاقتصاد الإسلامي في المصارف والنقود والأسواق
المالية - ١٣ جزء)، وعلم النفس (موسوعة علم النفس في التراث الإسلامي - ٣ أجزاء)، والتربية (شملت كافة مجالات
التربية مثل التربية الوالدية - فلسفة التربية - الأسرة، وغيرها)، والعلوم السياسية (موسوعة التنشئة السياسية
الإسلامية - جزئين)، العلاقات الدولية (موسوعة العلاقات الدولية في الإسلام - ١٢ جزء)، وغيرها انظر: إصدارات
المعهد العالمي للفكر الإسلامي باللغة العربية، متاح عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/xlOQI>

الغربي، وتجاوز ذلك نحو مواجهة الواقع بمعرفة جديدة^(١).

عملت مدرسة المنظور الحضاري على تحرير المفاهيم التأسيسية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وذلك لتحديد الفوارق بين ما هو إسلامي متميز، وما هو مقبول إسلامياً، وما هو غير مقبول لتعارضه مع أصول النظر الإسلامي.

من التكوينات العلمية التي قدّمت اجتهداً ملموساً في هذه المسيرة "جماعة العلوم السياسية من منظور حضاري إسلامي" التي تأسّست في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة أوائل ستينيات القرن العشرين الميلادي (أواخر القرن الرابع عشر الهجري). كدّحت هذه

الجماعة في بناء منظور علمي Scientific paradigm في علم السياسة وأفرعه الرئيسة؛ منظور مستوعب لأحدث ما أنتجته المعرفة الغربية؛ ومستلهم -بعمقٍ بحثي- لأصول المعرفة الإسلامية وكيّاناتها؛ ومراعٍ لفروعها دون خوض في تفاصيل الشرعيّين؛ لكي يُفرز هذا المنظور: مقولات وافتراضات، واتجاهاً بحثيّاً ذا خصائص قيمية واقعية^(٢).

أكّد هذا المنظور على مركزية الأصول المعرفية الإسلامية، والعمل من داخل العلوم السياسية الحديثة لا من خارجها، وعمل وفق نظرية الجمع بين الكتابين (الوحي والوجود) والقراءتين (الاستنباط من النصوص والاستقراء في الواقع). وعملت مدرسة المنظور الحضاري على تحرير المفاهيم التأسيسية في العلوم الاجتماعية والإنسانية؛

(١) للمزيد بشأن تطور العلوم في الحضارة الإسلامية انظر: مدحت ماهر، حوار المعارف والثقافات وبناء العلوم الاجتماعية...، مرجع سابق.

(٢) انظر:

- بناء جماعة علمية في العلوم السياسية من منظور حضاري، (في): نادية مصطفى (تحرير)، في تجديد العلوم الاجتماعية بناء منظور معرفي وحضاري الفكرة والخبرة، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٦)، الجزء الثاني، ص ١١ - ١١٥.

- نادية مصطفى وماجدة إبراهيم (تحرير)، إشكاليات تفعيل وتطبيق المنظور الحضاري الإسلامي في بحوث وقضايا العلاقات الدولية: أعمال حلقة نقاشية عقدت بمركز الحضارة للدراسات والبحوث، بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٨، موقع مركز الحضارة، تاريخ النشر: ١١ فبراير ٢٠١٩، متاح على الرابط التالي: <https://2u.pw/gWEC8>

بدءًا من مفاهيم العلم والاجتماع والعمران والإنسان، مع تحديد الفوارق بين ما هو إسلامي متميز، وما هو مقبول إسلاميًا -بما فيه من تعددية وتنوع- ويُعدُّ مشتركًا إنسانيًا، وما هو غير مقبول لتعارضه مع أصول النظر الإسلامي.

مع هذا، ظلَّ البُعْدُ الحاضرُ الغائبُ، والمستوى المحكُّ الفارقُ في هذه المسيرة، هو مستوى "المنهج"؛ وكيف يمكن "إنتاج مناهج بحث" ذات خصوصية لدراسة الظاهرة الاجتماعية بعامة والسياسية بخاصة، دراسة علمية حضارية؛ بما تحرر في المدرسة من دلالات لمفاهيم العلم، والمنهج، والموضوعية، والقيم، وفقه الواقع وفقه الواجب. لقد ظل مستوى "إنتاج المناهج البحثية" محل تهيب واستثقال من كثير من الباحثين المسلمين، ومحل تغافل واستخفاف من أكثرهم تساهلاً في الأخذ بالمناهج الغربية الجاهزة؛ حتى تطرَّق إليه بعض الرواد، ودعوا إلى العناية به واقتحام عقبته. في مدرسة المنظور الحضاري نظر روادها -مثل د. منى أبو الفضل (١٩٤٥ - ٢٠٠٨)، وسابقتها د. حامد ربيع (١٩٢٤ - ١٩٨٩)- إلى مستوى علم المنهجية Methodology؛ ودعوا إلى إنتاج وتطوير مقتربات ومداخل منهجية من ذلك المنظور الحضاري الإسلامي، ونقلوا مهمتها إلى الجيل التالي من تلاميذهم الذين أضحو قادة هذه المدرسة وموجِّهيها^(١).

إن المنهج هو العمود الفقري لكلِّ ما يسعَى "علمًا" يُدرَس ويُدرَس؛ فما يفرق العلم المنتظم عن المعرفة السائلة، إنما هو "المنهج العلمي". ونحن -في دائرتنا الحضارية- كثيرًا ما نتحدَّث في هذا الصدد عن "المنهج" بمعنى الرؤية الكلية الإسلامية في المعرفة والعلوم الاجتماعية والإنسانية بل في السلوك، مقابل النموذج المعرفي الغربي، وفلسفته في العلوم والحياة، ونسبِّي هذا بالمنهج، مغفلين مستوى البحث والمعرفة والإنتاج العلمي. لكن ما ينشده -ويفتقده- الباحثون الأكاديميون المسلمون من منظورهم الحضاري

(١) انظر بشأن جهودهما في هذا المجال:

- منى أبو الفضل، نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير والإسلامي بين المقدمات والمقومات، سلسلة المنهجية الإسلامية (١٣)، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦).

- حامد ربيع، مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، تحرير وتعليق: سيف الدين عبد الفتاح، مشروع إحياء تراث الرواد، قسم العلوم السياسية: كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٧).

كان الجديد الذي قدمه المنظور الحضاري متمثلاً في مجموعة المداخل المنهجية التي تصلح لدراسة قضايا الاجتماع والسياسة والعلاقات الدولية تقوم على الربط أساساً بين التراث والواقع والعلوم الحديثة.

ليس هذا وحسب، وخاصة إذا تجاوزوا مرحلة التأسيس في المعرفة من هذا المنظور، إنما ينشدون ويفتقدون "مناهج بحثية جزئية"^(١)، تؤطر بحوثهم العملية، وتوجّه خطواتها، في دراسة موضوع واقعي محدّد، ومعالجة إشكالية بحثية بعينها. ومن هنا جاءت فكرة "الأجراًة"؛ أي تحويل المقولات النظرية والأطروحات المنهجية إلى صورة إجرائية عبر خطوات يتبّعها الباحث لدراسة الموضوع محل البحث.

ومن هنا، كان الجديد الذي قدّمه رؤاد المنظور الحضاري، والمعنيون بالفقه الحضاري، متمثلاً في مجموعة من النظريات أو المناهج أو المداخل المنهجية التي تصلح لندرس بها قضايا الاجتماع والسياسة والعلاقات الدولية تقوم على الربط أساساً بين علوم الشرع وعلوم الاجتماع بالفهم الحديث، أو الربط بين ثلاثية ما هو نفيس في تراثنا، وما أفرزه الواقع وفرضه من تحديات، وما أنتجته العلوم الحديثة من نظريات ومناهج^(٢).

-
- (١) كثرت تلك المحاولات المنادية بضرورة أن يكون هناك مناهج بحث إسلامية في العلوم الإنسانية، ولكنها لم تصل أبعد من وضع بعض المعايير التي يمكن أن يبني على أساسها المنهج لا المنهج ذاته مثل إعادة الاعتبار للوحي والتوحيد، والعنصر الأخلاقي في البحث، والتميز بين الثوابت والمتغيرات، طالع منها على سبيل المثال:
- محمد أمزيان، نقد مناهج العلوم الإنسانية من منظور إسلامي وخطوات صياغة مناهج إسلامية للعلوم الإنسانية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٧١-٧٢، ١٩٩٤، ص ٩٩-١٥٤.
- محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامي، (القاهرة: دار الشروق، ط ١، ١٩٩١).
- مجموعة مؤلفين، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٤).
- أحمد حسين شريفي، مبادئ العلوم الإنسانية الإسلامية، ترجمة: علي الحاج حسن، (النجف: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط ١، ٢٠٢٥).
- (٢) للمزيد بشأن هذه النماذج والجهود انظر:

وتتبع صلاحية هذه المداخل من رؤية حضارية تؤكد أن إعادة الفعالية لمفاهيم وعلوم كان لها أثر بَيِّن في إصلاح الأمة، وتحقيق صلاحها في الدنيا والآخرة إنما ينعكس على إعادة فهم الواقع الاجتماعي، وتوجيهه بما يخدم صالح الإنسان، ووزنه بمنهجية قويمه تستمدُّ أصولها من ثوابت مرجعية، وليس من مجرد فهم إنساني قاصر مُحدد بمحض تجربته وخطئه.

مميزات وخصوصيات المداخل المنهجية من منظور حضاري

تكتسب هذه المداخل المنهجية -وفق خبرة من انطلقوا منها على صعيد المدرسة- خصوصية وميزات عن غيرها من المداخل الوضعية من حيث كونها:

- ١- واقعية مثالية: وبعضها تغلب عليه الواقعية وبعضها بالعكس.
- ٢- مصادرها المعرفية: وجود ووحى.
- ٣- أدواتها فيها: لغة (عربية) - تراث - فقه - بالإضافة إلى الأدوات التي يطورها الآخرون (مع الحرص).

-
- المستشار طارق البشري، منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي، سلسلة في المسألة الإسلامية المعاصرة، (القاهرة: دار الشرق، ط٢، ٢٠٠٧).
- نادية مصطفى، سيف عبد الفتاح، دورة المهاجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية حقل العلوم السياسية نموذجاً، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٢).
- سيف الدين عبد الفتاح، مدخل القيم: إطار لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، (في): د. نادية محمود مصطفى (تحرير)، موسوعة العلاقات الدولية في الإسلام، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٢٢).
- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٣).
- منى أبو الفضل، المدخل المنهجي لدراسة النظم السياسية العربية، تقديم: طه جابر العلواني، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١٣).
- منى أبو الفضل، الأمة القطب: نحو تأصيل منهجي لمفهوم الأمة في الإسلام، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥).
- إبراهيم البيومي غانم وآخرون، تقديم: طه جابر العلواني، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٨)، المجلدين الأول والثاني.

- ٤- ناضحة كلها بالقيم.
- ٥- تجمع بين الاستقراء والاستنباط.
- ٦- تجمع بين الكلي والجزئي.
- ٧- علمية/ نظرية وعملية في نفس الوقت.
- ٨- قابلة للتجمع والتداخل فيما بينها، إذ يمكن مثلاً تقديم تحليل مفاهيمي مع مقاصدي.
- ٩- تعتمد على "ملكة فكرية" وليس فقط بحثاً إجرائياً أصمّ.
- ١٠- فيها بُعد مرجعي يتعلق بالأمة والانتماء لها، ولكن لا يلزم للاستفادة من جوانب كثيرة منها أن يكون الباحث مسلماً أو منتمياً إلى الأمة، لكن لا بد أن يكون مستوعباً للمنظور. وغالباً - عملياً - من يطبق منظوراً، فإنه يكون مقتنعاً به أو بالجزء الذي يطبق منه.
- وقد كان لهذه الفكرة وتنفيذها في صورة هذا الكتاب قصة ينبغي تسجيلها.

(٢)

قصة المشروع البحثي / الكتاب: خبرة عمل جماعي

لهذا الكتاب / المشروع البحثي قصة تنفيذية أخرى ترتبط بمركز الحضارة للدراسات والبحوث بالقاهرة، ودوره في تعزيز مدرسة المنظور الحضاري في العلوم السياسية خاصة، والعلوم الاجتماعية والإنسانية عامة، ودورها في إنتاج المعرفة الجديدة ضمن المسيرة المشار إليها أعلاه:

ففي أغسطس ٢٠١٨ عقد المركز حلقة نقاشية حول «إشكاليات تفعيل وتطبيق المنظور الحضاري الإسلامي في بحوث وقضايا العلاقات الدولية»؛ وخرجت بمقترحات عديدة؛ منها العناية بالمداخل المنهجية وتفعيلها. وكان ممّا لفت إليه بعض الأساتذة الأجيال القادمة من الباحثين من منظور حضاري بخصوص دورهم وإسهامهم: "وقد نهّيت د. نادية مصطفى إلى ضرورة التمييز بين ثلاثة مستويات من التأصيل والتنظير: مستوى النموذج المعرفي والرؤية الكلية للعالم وفق المنظور الحضاري

الإسلامي، ومستوى دواعي بناء هذا المنظور وبيان أهدافه ومقاصده وخصائصه، ومستوى بناء النظريات والمفاهيم والمداخل المنهجية اللازمة لدراسة الظواهر الخاصة بمجال محدّد، وأن المطلوب من أبناء الجيل الثالث أن يكون انخراطهم الأساسي على المستوى الثالث، مستوى استكمال بناء النظريات والأدوات المنهجية والمفاهيم نحو التفعيل في القضايا والبحوث التطبيقية المهمة للأمم والعالم، فضلاً عن تفعيل الموجود ممّا قدّمه الجيلان السابقان (في المستويين الأول والثاني)؛ إذ لا مانع من التفعيل والمزيد من التطوير أو حتى النقد البناء للمداخل والنظريات الموجودة بالفعل. وكل ذلك لا يتم إلا باستيعاب الرصيد البنائي على مستويي النموذج والرؤية الكلية، والتأصيل النظيري^(١).

في فبراير - مارس ٢٠٢١ نظّم المركز مؤتمراً دولياً عبر الوسائل الإلكترونية تحت عنوان «نحو مدرسة حضارية في حقل العلاقات الدولية»؛ وداخل المؤتمر، تكرّرت التساؤلات عن مستوى "المناهج" الجزئية في المنظور الحضاري؛ والتي كانت محورا أساسيا من محاور المؤتمر، وكان ممّا خلص إليه المؤتمر فيما يتعلّق بالمستوى المنهجي في مدرسة المنظور الحضاري:

"تقييم المداخل المنهجية: برز القول بأن الدخول إلى حقل معرفي دون امتلاك أدواته يؤدّي إلى حجب الرؤية، وكثير من أهل الاختصاص قد دخلوا بيوتاً ولم يخرجوا منها لهذا السبب (كجحر الضب). ومن ثم فإن تطوير دراسة "المداخل المنهجية" توفر أساساً للتقييم والمحاسبة. على سبيل المثال يعد تناول مدخل رؤية العالم، مدخلا للحديث عن وحدة الإنسانية. وأكّد البعض أهمية نظّم أسس الرؤية الإسلامية بحيث لا تتعارض عند اجتماعها وتفعيلها، وفي حالة وُجد تعارض بينها، يسهل الوصول إلى حلول أصولية ومقاصدية وقيمية. وبشأن أهمية دراسة المقاصد والسُنن على سبيل المثال، برز التساؤل حول ما إذا كانت لها قدرة على التحليل والتفسير، بجانب قدرتها على النقد

(١) نادية محمود مصطفى، وماجدة إبراهيم عامر (تحرير)، إشكاليات تفعيل وتطبيق المنظور الحضاري الإسلامي في بحوث وقضايا العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ٢٠٢. متاح عبر الرابط التالي:

<https://hadaracenter.com/18-2018/>

والتقييم، وأُجيب بأن السُّنن والمقاصد قادرة على التوصيف والتصنيف والتفسير من داخل مقولاتها المركّبة، بل إن دراسة المقاصد والسُّنن تتّصل بعملية التخطيط وخاصة التخطيط الاستراتيجي على المدى الطويل أو المتوسط، فضلاً عن محوريتها بالنسبة للدراسات الاستشرافية. كما أن التاريخ بوصفه مدخلاً منهجياً للتنبؤ يختلف عن الدراسة التقليدية له؛ حيث التنظير للتاريخ في العلاقات الدولية محاولة للتفسير وليس مجرد عودة للرصد في سجل التاريخ. والأمم عامة تتسابق في الوصول إلى السُّنن بينما الأمة الإسلامية تتعزّز رغم رصيدها المعرفي منها، وأشار البعض إلى أن الواقعيين قد استخدموا السُّنن وقرأوا التاريخ واستخرجوا الأنماط، لكن وفق خبرتهم التاريخية هم. وبينما يتحدّث المنظور الحضاري عن أهمية دراسة التاريخ فإن هناك من رأى أن اتجاهات كالسلوكية تقول بالعكس. ورفض البعض القول بأن "السلوكية" قد أهملت التاريخ، وإنما هي فقط انتقدت فلسفة التاريخ، بل إن جميع الدراسات قد بُنيت على التاريخ. وأشار البعض إلى أن المنظور الحضاري الإسلامي قدّم جهداً متميّزاً لتقديم مداخل منهجية في حقل العلاقات الدولية، تتميّز باستدعاء القيم على نحو يضفي خصوصية عليها، كمدخل للنظر فضلاً عن استقراء التاريخ. إلا أن تطوير أدوات لهذه المناهج أمر يحتاج إلى جهد منا كباحثين لتقديمها بلغة يسهل فهمها"^(١).

عقب هذا المؤتمر أعدّ فريق المركز -د. نادية مصطفى ود. مدحت ماهر- تصوّراً لمشروع بحثي تحت عنوان "الأجراًة" (أي تحويل المقولات النظرية التي وصل إليها الباحثون في مدرسة المنظور الحضاري إلى مداخل منهجية ذات إجراءات بحثية، يمكن للباحث أن يوظّفها في بحثه، ويطبق بها النظرية أو المدخل المنهجي)؛ وصيغت ورقة خلفية أساسية في هذا الشأن؛ توضّح الموضوع والأهداف والأهمية والمفاهيم الأساسية، خاصة مفهوم "الأجراًة"، وتصوراً لكيفية تنفيذ المشروع؛ للوصول إلى صياغات إجرائية لمداخل منهجية خمسة أساسية: الأنماط التاريخية - بناء المفاهيم - القيم - المقاصد - السنن.

(١) التقرير الختامي للمؤتمر: اتجاهات النقاش والتوصيات، (في): نادية محمود مصطفى، نحو مدرسة حضارية في حقل العلاقات الدولية، (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٠٢٣)، الجزء الثاني، ص ٦٧٦-٦٧٧.

عُرض على د. شريف عبد الرحمن -الأستاذ المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة؛ بوصفه متخصصاً متميزاً في قضية "المنهج" بصفة خاصة، وقَدِّم د. شريف تصوراً مكَمِّلاً في اتجاه أشبه باستخراج التنظير المنشور في كتابات المنظور الحضاري. وتأخَّر تنفيذ مخطَّط المشروع. ولكن كان إضافة مهمَّة إلى رؤية المشروع.

بين مايو ويوليو ٢٠٢٤، بدأ تجديد العمل في المشروع واقترح أحمد خليفة -الباحث بالمركز- خطة تنفيذية لإنهائه في توقيت محدَّد؛ وعلى أساس أن تكون مخرجاته الأساسية "أوراقاً أداتيَّة Toolbox"، تحمل ما يُعرف بخطوات ومعالم أجراء المداخل المنهاجية الكبرى الخمسة من منظور حضاري إسلامي المشار إليها. جرى في المركز تداول الخطة وتعميق أبعادها، خاصة بأهمية خطوة "الصياغة المنهاجية للمقولات النظرية"، وضرورة شرح مفهوم الأجراء من المنظور الحضاري المُقارن (للباحثين الرئيسيين المرشَّحين لإنجاز المشروع ولغيرهم)؛ لتخرج النسخة الأخيرة من الورقة الخلفية والتنفيذية للمشروع^(١).

وقد تبلور من الورقة الخلفية للمشروع ثلاث مراحل أساسية للعمل تشمل تشكيل فريق عمل من الأساتذة لإعداد أوراق أولية حول كلّ مدخلٍ منهاجي، ثمَّ كتابة أوراق أساسية، وأخيراً تصميمها وإخراجها في صورة دليل إرشادي؛ وعليه، اقترح أن تُجيب "الأوراق الأولية" على خمسة أسئلة رئيسية، هي:

- ١- ما المقولة الأساسية للمدخل المنهاجي (محل الأجراء) في علم السياسة؟
- ٢- ما المقولات الفرعية التي تنبثق عنها؟
- ٣- ما المفاهيم الأساسية للمدخل التي تشكِّل بنيته المضمونية؟
- ٤- ما الخطوات التي يلزم أن يتبعها الباحث لتطبيق هذا المدخل المنهاجي كاملاً؟

(١) يمكن الاطلاع على الورقة الخلفية عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/OZQsE>

٥- ما أكثر المراجع التي ترى أنها مفيدة في هذا المدخل وشرح خطواته؟

وفي ٢٢ يوليو من نفس العام، عُقد أول اجتماع للفريق البحثي المشكّل من خمسة أساتذة هم: د. نادية مصطفى، د. ريهام خفاجي، د. شريف عبد الرحمن، د. أميرة أبو سمرة، د. مدحت ماهر؛ لتدشين عملية تنفيذ المشروع، وكتابة أوراقه الأولية.

في نهاية أغسطس ٢٠٢٤، انتهى الأساتذة من كتابة الأوراق الأولية، وعُرضت الأوراق على الفريق لقراءتها في سبتمبر التالي، وعقدت حلقة مناقشة^(١) لها داخل المركز بحضور أستاذين قديرين؛ وهما أ.د. إبراهيم البيومي غانم، وأ.د. ناهد عز الدين. وأكّدت مجمل التعليقات على أهمية وضرورة هذه الخطوة (الأجراً)، وعلى انتماء أصحاب الأوراق إلى مدرسة علمية مشتركة، تتميز بمرجعية إسلامية في النظر إلى حقول العلوم السياسية المختلفة وقضاياها المتنوعة؛ إذ تتألف المقولات وتتكامل الأوراق وتتشارك في جسّ حضاريّ بشكل واضح.

ومن هذه الحلقة خرجت مجموعة كبيرة من التعليقات العامة على كلّ الأوراق مجتمعة، والتعليقات التفصيلية على كل ورقة على حدة؛ لتؤخذ في الاعتبار عند إعداد الورقة الأساسية لكلّ مدخل. كان من أهم مخرجات الحلقة النقاشية تقرير أن يتم إعداد ورقتين تمثّلان مدخلاً للموضوع؛ تُقدّم إحداهما تصوّراً للمنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية، وتستعرض ثانيتهما المفاهيم الأساسية لعلم المنهجية Methodology من المنظور الحضاري الإسلامي؛ لتمثّل الورقتان معاً بوابة إلى المداخل المنهجية من منظور حضاري^(٢).

وعليه، أنجزت الأوراق النهائية خلال الفترة بين يناير وأبريل ٢٠٢٥، وقام فريق التحرير بمراجعة الأوراق، وكتابة تعليقات تفصيلية عليها، ثمّ عرضها على اثنين من الأساتذة القديرين من خارج الفريق (أ.د. أحمد علي سالم، ود. سماح عبد الصبور)

(١) للمزيد يمكنكم الاطلاع على تقرير الحلقة عبر الرابط التالي: <https://cutt.us/tyxNt>

(٢) كان مُحددًا أن تخرج الأوراق النهائية في حدود لا تتجاوز ١٢ ألف كلمة، لكن بعض الأوراق تجاوزت حاجز الـ ٢٠ ألف كلمة وفقًا لمقتضيات أجراً المدخل وتفاصيله، وما تطلبه شرح أبعاده الكلية والجزئية.

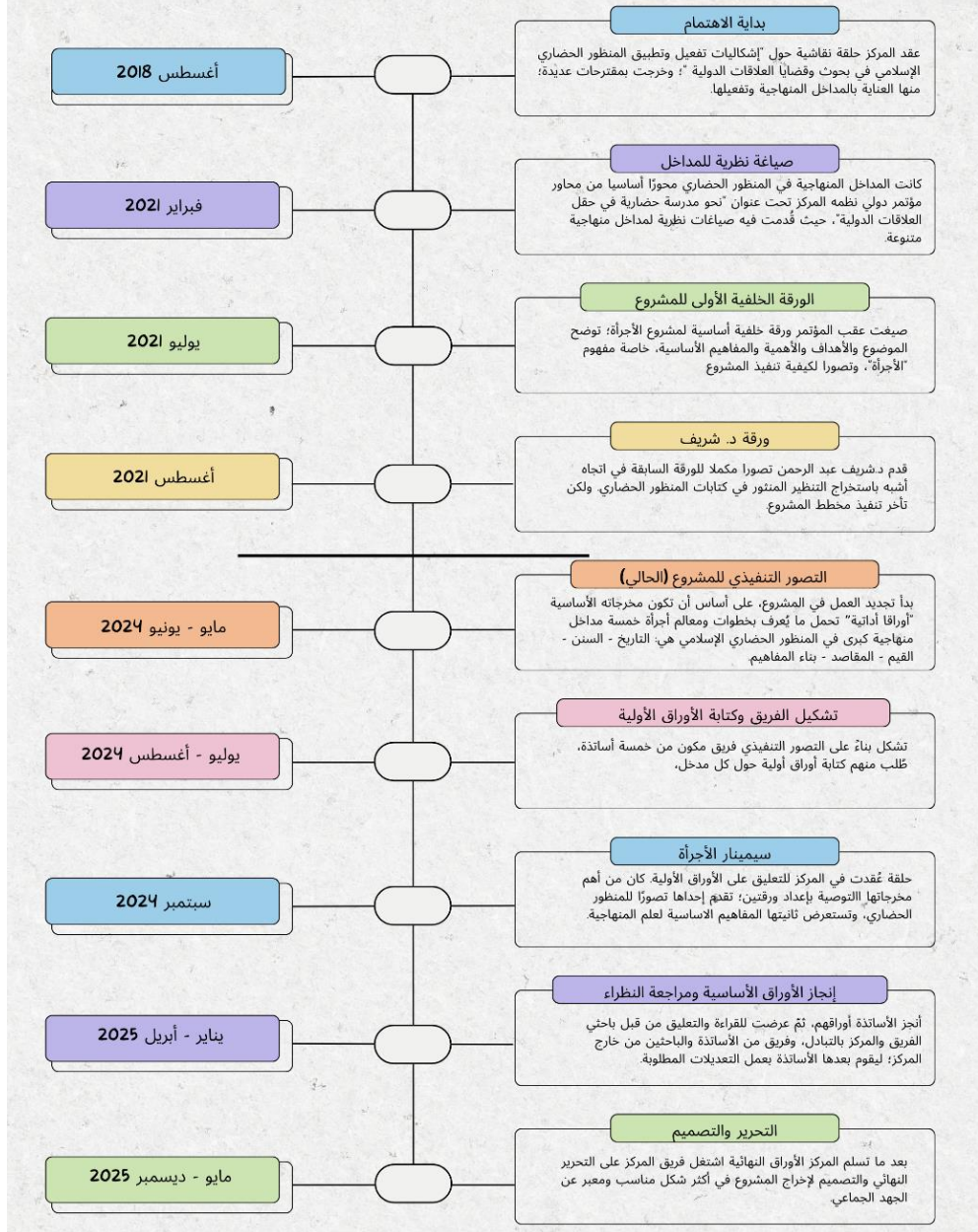
لإبداء النظر والتعليق على الأوراق، كما عرضت على مجموعة من الباحثين الشباب الجادين (أ. أحمد نبيل، وأ. أحمد شوقي، وأ. أحمد البوهي)، إلى جانب باحثين من المركز (أ. سمية عبد المحسن وأ. أحمد خليفة).

قام فريق التحرير وعلى رأسه د. مدحت ماهر بالإطلاع على التعليقات وتصنيفها وإرسالها إلى فريق المشروع من الأساتذة أصحاب الأوراق لإعادة النظر فيها. وبالفعل قام كلُّ أستاذ بمراجعة الملاحظات وتطوير ورقته، وتسليماً ليتكامل المشروع بدراساته السبع التي يحويها هذا الكتاب، ونسعد أن نقدّمها للقارئ العربي، وأن نسعى لترجمتها -أو ترجمة ملخصات لها- فيما بعد إن شاء الله تعالى.

الفكرة الأساسية التي راودتني بعد قراءة الورقة الخلفية والأوراق الأولية أن هذا المشروع خطوة في الاتجاه الصحيح، وللدخول في عمق الأصالة المنهجية في دراسة الظواهر المختلفة، وهو خطوة متقدمة على طريق التحرر من الاحتلال المعرفي، الذي سيطر على عقول النخب العلمائية من أساتذة وطلاب في بلادنا منذ ما يزيد على قرن ونصف القرن من الزمن. وما قرأته مبشر ومطمئن بأن مدرسة المنظور الحضاري تتعمق بمرور الوقت، وتصل إلى المناطق الأساسية والجذور الرئيسية للفهم والتحليل والاستنتاج وبقية خطوات العملية البحثية.

د. إبراهيم البيومي غانم من كلمته في سيمينار الأجرأة

تطور مشروع الأجرأة (2018 - 2026)



الأجراً من منظور حضاري: المفهوم والخطوات

عند البحث عن الأصول العربية والإنجليزية لكلمة (الأجراً) نجد لها لفظة مُتداولة في مجالات مختلفة، ونحن نأخذها من الفعل "أجرى". و"أجرى" مصدرها "إجراء"؛ ويعني التنفيذ أو التدبير أو اتخاذ خطوة لأمر ما. والإجراء هو أسلوب المعالجة ونسقتها.

وتستعمل بعض الترجمات العلمية -خاصة في دول

المغرب العربي- تعبير "الأجراً" ليقابل المصطلح الإنجليزي Operationalization. وفي المجال

القانوني يُقصد بالأجراً تحويل النصوص القانونية إلى إجراءات ولوائح قابلة للتطبيق على في الواقع. أما أجراً الأهداف التربوية، فالمقصود منها تحويل الأهداف العامة إلى أهداف قابلة للقياس.

وأجراً السياسات تعني: اتخاذ خطوات جادة لتنفيذها على أرض الواقع^(١).

الأجراً: عملية استخلاص وشرح إجراءات تطبيق مدخل منهاجي مُعين في دراسة ظاهرة اجتماعية في حقل أو أكثر، بما تتضمنه من خطوات عملية (إجرائية)، وأساليب وأدوات ومفاهيم تحليلية.

أما في مناهج البحث، فيُقصد بالأجراً إيجاد مؤشرات لقياس شيء ما، كما أن أجراً المفاهيم الهدف من وراءها الوصول إلى التعريف الإجرائي للمفهوم. ويُعرفها معجم مناهج البحوث الاجتماعية بأنها "عملية ابتكار طرق لقياس المفاهيم النظرية"^(٢).

ومع هيمنة الوضعية على العلوم، ومناهج البحث فيها، خاصة في المرحلة السلوكية، حُدِّدَت الأجراً بعدة سمات؛ غلب عليها التكميم والعمل على تحويل المؤشرات الواقعية

(١) للمزيد بشأن هذه المعاني انظر: معجم قيس الحاسوبي، جامعة بيرزيت، متاح عبر الرابط التالي:

<https://sina.birzeit.edu/qabas/lemma/202000466>

(2) "The process of devising ways of measuring theoretical concepts". See: Operationalization, (in): Victor Jupp (Editor), The Sage Dictionary of Social Research Methods, (London: Sage publications, 1st Ed, 2006), p. 205.

الاجتماعية والإنسانية إلى أرقام وأعداد ورموز رياضية وإحصائية، وإدخالها في قوانين إحصائية تسري على الأشياء والأحياء، وتحديد القيم الذاتية والعقائد نهائياً، إلا أن تكون موضوعاً للبحث (لا موجّهاً له)، ويجري تكميمها أيضاً. كما برزت فكرة "المؤشّر الواقعي العملي" لتعريف كافة المفاهيم ووصف كافة الظواهر. كما غلبت -بقوة- فكرة أن السؤال البحثي أو الإشكالية البحثية تُصاغ في صورة علاقة شرطية أو ارتباطية بين متغيّرين، وقد تتضمّن متغيّرات وسيطة عديدة.

في سبيل ردّ هذه الفجوات الكبيرة بين ما وصل إليه الغرب من تدقيق إجراءاته البحثية وبعد المعرفة الاجتماعية الإسلامية عن ذلك من ناحية، وبين ما تقدّم فيه الباحثون المسلمون من تأسيس معرفي ومنهجية علمية عامة، وغياب الإنتاج المنهجي الخاص متعدّد المقتربات والنماذج من الناحية الأخرى، يأتي هذا الكتاب / المشروع البحثي مقدّمًا ومتقدّمًا خطوة نوعية للأمام.

ومن ثم وضع تعريفاً للأجراً خاصاً بهذا المشروع على أنها:

"عملية استخلاص وشرح إجراءات تطبيق مدخل منهجي معين في دراسة ظاهرة اجتماعية في حقل أو أكثر، بما تتضمّن من خطوات عملية (إجرائية)، وأساليب وأدوات ومفاهيم تحليلية".

أما عن خطوات عملية الأجرة؛ فتتمثّل في:

- (١) تجريد المدخل المنهجي في مقولة رئيسية كبيرة، تتفرّع عنها مقولات أخرى.
- (٢) توضيح شبكة المفاهيم المرتبطة بها وعلاقاتها المتساندة، وتقديم تعريفات اصطلاحية لهذه المفاهيم تتلاءم مع طبيعة العلوم السياسية بحقولها الفرعية (العلاقات الدولية - النظم - الفكر والنظرية).
- (٣) توضيح الخطوات التي يقتضيها تنزيل المدخل على دراسة الموضوعات الاجتماعية، بما يتناسب مع الحقول / الموضوعات السياسية الفرعية (السياسات العامة - العلاقات الدولية - الصراعات الداخلية - الحرب والسلام..).

(٤) تقديم أمثلة شارحة على كل جزئية وخطوة من خطوات المدخل من واقع إنتاج المنظور باستخدام هذه المداخل.

(٥) عمل نماذج تطبيقية؛ لتطبيق مجموع الإجراءات على حالة دراسية واحدة لكل واحدٍ من هذه المداخل المنهجية على قضايا متنوّعة.

ومن واقع النقاشات ومتابعة تطور المشروع، تبلور -بنهاية سبتمبر ٢٠٢٤- "تصور مُحدد" لعناصر الورقة الأساسية؛ لتقديم خطوات واضحة في هذا السبيل. وجرى تحديد هذا التصرُّو لمكوّنات هذه الورقة لتشمل ما يلي:

مقدمة: وتتضمّن: قصة المدخل (النشأة والتطور، والفكرة = مختصرة ومجملة)، وشرح عناصر الورقة.

(١) الصياغة النظرية للمدخل، وتشمل:

(أ) المقولة الرئيسية للمدخل (مع أمثلة ومقارنات مع الغربي)

- المقولة الرئيسية: فقرة تشرح جوهر المدخل وأساسه (٧ إلى ١٠ أسطر)

(ب) المقولات الفرعية (مع أمثلة ومقارنات من الغربي)

- المقولة الفرعية: مجموعة جمل متفرّعة عن هذه المقولة الرئيسية، وتعبّر عن اتجاهات عامّة مفيدة في فهم المدخل وتوظيفه (مكتوبة بأقصر صياغة ممكنة في (٣ إلى ٥ أسطر) فيما لا يتجاوز ٧ مقولات؛ حتى لا تفقد معناها. (مع أمثلة شارحة)

(ج) مفاهيم محورية لفهم المدخل وتوظيفه (مع أمثلة ومقارنات من الغربي)

(٢) ركائز تطبيق المدخل، وتشمل:

(أ) الأهمية: وظائف وفوائد المدخل (وما يصلح لدراسته وما لا يصلح).

(ب) قائمة الموضوعات التي وُظّفَ فيها المدخل (تحليل أهمّ موضوعاته وتطبيقاته من الأدبيات السابقة)، وقائمة الموضوعات المقترح توظيفها في إطار المدخل.

(ج) بيان التداخل مع المداخل المنهاجية الأخرى، وأوجه الاستفادة منها.

(٣) صياغة خطوات وإجراءات التطبيق:

- تُصاغ الخطوات بطريقة بسيطة وعملية غير مركبة في صورة نقاط لها ترقيم (ومرتبة): ١-، ٢-، ...، ٣-...

- ضرورة الإشارة إلى أنه يمكن الاكتفاء بمجموعة خطوات للوصول إلى غرض معيّن، وليس مطلوباً دوماً أن يطبقها الباحث جملة واحدة.

- تقديم أمثلة واضحة ومتنوعة على كل خطوة، وعمل إحالات بشأنها (= نماذج لتوظيف الخطوات).

(٤) بيان التحديات والصعوبات العامة التي يمكن أن تواجه الباحث أثناء توظيف المدخل.

(٥) تقديم نموذج تطبيقي (واحد على الأقل ويُفضل أكثر)، ويتضمّن:

- مقدمة: تعريف بفكرة النموذج والغرض منه.

- وضع فروض و(حدود النموذج).

- توضيح أساس التفكير لبناء النموذج.

- تطبيق الخطوات كاملة.

- وضع ملاحظات بشأن الصعوبات والتحديات التي اكتنفت تطبيق النموذج.

وأخيراً، إن هذا الكتاب أو المشروع البحثي النوعي يُراد به -وله- أن يكون نُقْلَةً في مسيرة المنظور الحضاري الإسلامي في العلوم الاجتماعية والإنسانية؛ وأن يتقدّم بالمسيرة خطوة نحو التشغيل البحثي والتفعيل العملي، والقدرة على تدريب الباحثين على ممارسة بحوثهم من مداخل منهجية إسلامية موصولة بالعلم في أحدث معطياته، وتقديم بحوث ذات أصالة وذات فاعلية.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان لكلٍ من أسهم في إخراج هذا المشروع في صورته الراهنة بدءًا من الأساتذة الباحثين الذين شاركوا في التأليف أو الاطلاع والمراجعة المذكورة أسماؤهم في مواضعها، مرورًا بالفريق الإداري للمشروع الذي تابع عن كثب مجريات المشروع وخاصة سمية عبد المحسن- المدير التنفيذي للمركز، والباحث الواعد أحمد عبد الرحمن خليفة، ثم أخيرًا فريق الإخراج الفني والإعداد للطباعة، أحمد خلف وأحمد عبد الرحمن خليفة، الذي تحمّل عبء تصوير المادة البحثية وإخراجها في صورة قالب جذاب. وما كان لهذا المشروع أن يخرج للنور لولا الإشراف النشط والمحرّك من أستاذتنا الدكتورة نادية محمود مصطفى حفظها الله تعالى.

والحمد لله